العلمانية ضد الإسلام وحده!

أول تطبيق للعلمانية كان في فرنسا . وقام على أساس الفصل بين الكنيسة (السلطة الروحية) ، والدولة (السلطة الزمنية). وليس في الإسلام كنيسة أو سلطة روحية .

سبق ذلك صراع عنيف بين آباء الكنيسة ، والقوى الحية في المجتمعات الأوروبية . كان صراعا مريرا ، ودمويا في بعض الأحيان ، وكان من أبرز ملامحه العداء للعلم والعلماء ، وقتل بعضهم أو حرقه نتيجة لما توصل إليه من نظريات مثل دوران الأرض ، واتهام البعض الآخر بالهرطقة من خلال محاكم التفتيش وكان من ضحايا هذا الصراع (كوبرنيكس – جرد انو – ديكارت – سبينوزا – جون لوك) حيث أدت الاتهامات إلى قتل البعض أو حرقه حتى الموت أو الحرمان الكنسي من الدنيا والآخرة !

لقد تحول رجال الدين المسيحي في أوروبا (لا يوجد في الإسلام رجال دين) إلى طواغيت ومحترفين سياسيّين ومستبدّين تحت ستار الإكليروس والرهبانية والعشاء الرباني وبيع صكوك الغفران (راجع الموسوعة العربية الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – ص٣٦٧وما بعدها) .وقد رافق الدعوة إلى العلمانية التى تعني حرفيا (الدنيوية) أو (غير الدينية) أو قيام الحياة على أساس غير ديني وخاصة المجال السياسي ؛ بعض الظواهر والنظريات ، مثل مبدأ العقل والطبيعة ، وما يسمى بعصر التنوير الذي مهد للثورة الفرنسية ، ونظرية التطور لتشارلز داروين ، وفلسفة نيتشه التي أعلنت موت الإله وحلول « السوبر مان » مكانه ، بالإضافة إلى نظريات دور

كايم وفرويد وماركس (لاحظ أنهم من اليهود جميعا!)وجان بول سارتر وكولن ولسون (الوجودية واللامنتمي) .

ولعل الخديو إسماعيل الذي كان مفتونا بالغرب ؛ أول من اتجه نحو علمنة الدولة حين اعتمد القانون الفرنسي ، سبقته الهند حيث بدأت فى الإلغاء التدريجى للشريعة الإسلامية بوحى من الغزاة الإنجليز حتى تم الإلغاء فى أواسط القرن التاسع عشر ، وكانت تركيا (دولة الخلافة) أبرز من طبق العلمانية صراحة عقب إلغاء الخلافة فى ١٩٢٤م ، وتوالى إلغاء الشريعة فى معظم بلدان العالم الإسلامى .. وظهرت نخب ثقافية خائنة للإسلام والمسلمين جعلت ولاءها الأول للغرب الصليبى الاستعمارى ، ونادت – ولما تزل – بالقضاء على كل أثر للإسلام فى الفكر والسلوك على مستوى الحكومات والأفراد .

وفى أوائل القرن العشرين تنبه عدد من الكتاب والعلماء الإسلاميين لعواقب عزل الإسلام واستئصاله من الحياة ، وكان فى مقدمتهم « محمد رشيد رضا » – تلميذ محمد عبده – وعبد العزيز جاويش ..

وقد ظهرت على مدى القرن العشرين عشرات الكتب والدراسات التى تتناول العلمانية وعداوتها للإسلام وتأثيرها المدمّر على الإسلام والمسلمين ، حيث بدت أهم ملامح هذا التأثير فى تمزيق الأمة الإسلامية وشرذمتها وتخلفها وطمع الدول الصليبية الاستعمارية فى ثرواتها ومواقعها .. ولعل ما كتبه محمد عبد الله عنان وسفر الحوالى ومحمد محمد حسين وسيد ومحمد قطب ومحمد البهى ، أبرز ما أُلف فى هذا السياق .

ومع أن الصراع فى الغرب بين الكنيسة والدولة ، انتهى بانتصار العلمانية ، وتحول أعداد كبيرة إلى الإلحاد ، فقد تمت تسوية الأمر فيما بعد بنوع من التصالح بين الطرفين ، واستمرار الكنيسة فى أداء دورها الروحى ، بل إن الكنيسة البروتستانتينية فى إنجلترا وألمانيا ، وتبدو أكثر تحررا من بقية الكنائس ، جعلت

قيادتها للملك أو الملكة فى لندن ، وملكة إنجلترا هى الرئيس الفعلى للكنيسة البروتستانتينية وهى التى توقع قرار تعيين أسقف كانتربرى وغيره من الأساقفة فى شتى أرجاء البلاد .

ثم تحول التصالح بين الكنيسة والدولة إلى تحالف بين الطرفين ، تقوم فيه الكنيسة بدور المرشد والموجّه ؛ خاصة في السياسة الخارجية ،وفى الفترة الاستعمارية ، لعبت الكنيسة فى الغرب – أيا كان مذهبها – دوراً رئيسياً فى القيام بدور طليعى استكشافى ، مهمته رصد الواقع فى الأراضى المرشحة للاحتلال ، فضلاً عن القيام بالمهمة التقليدية وهى التنصير ، أو التشكيك فى الدين الإسلامى وثوابته عن طريق استقطاب العملاء من النخب الحاكمة أو المهيأة للحكم ، لقد بدا أن هناك نوعاً من التحالف الوثيق بين الطرفين (الكنيسة والحكومة فى الغرب) ، لعبت بموجبه الكنيسة خاصة فى القرن العشرين دوراً مكملاً لدور الحكومات ، وخاصة فى توطيد الوجود الاستعمارى فى البلاد المحتلة من خلال المشروعات الخيرية فى المستشفيات والمدارس والجمعيات الأهلية ، ثم تطور هذا الدور فى الربع الأخير من القرن العشرين ليكون دوراً سياسياً مباشراً وعلنياً ، واذكر فى هذا السياق ثلاث وقائع قريبة إلى الأذهان ..

الأولى :

تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام ، وفقاً للمعتقدات النصرانية التى تقول بأنه قُتل بعد صلبه ، وتبع الاعتراف بالكيان النازى اليهودى فى فلسطين المحتلة .

الثانية :

قيام الفاتيكان بمنع المطران هلاريون كابوتشى مطران القدس المحتلة ، من حضور مؤتمر القمة الإسلامية الثالث ضمن وفد منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات .

الثالثة :

مشاركة الفاتيكان فى عهد البابا يوحنا بولس الثانى فى تفكيك النظام الشيوعى فى بولندا ومقابلته لزعيم منظمة تضامن البولندية (ليش فاونسا) بمقر الفاتيكان فى جلسة خاصة ، ولم يُعلن عن مضمون ما دار فى هذا الاجتماع حيث ظلت تعليمات البابا لفاونسا سرّية ، ولم يكشف عنها النقاب إلا بعد سقوط النظام الشيوعى (راجع الصحف العربية الصادرة فى ٢٨/ ١/ ١٩٨١م) .. وبالفعل فقد تكشف أن هناك تعاونا بين البابا والرئيس الأمريكى الراحل « رونالد ريجان » – وهو صليبى متعصب – وليش فاونسا ، استطاعت بموجبه منظمة تضامن أن تُسقط النظام فى بولنده ، ومن بعده كرّت عجلة السقوط فى أوروبا الشرقية الشيوعية والاتحاد السوفييتى نفسه الذى تفكك إلى مجموعة من الدول التى أقامت أنظمة غير شيوعية .

هناك عشرات الوقائع التى تؤكد تلاحم الكنيسة مع السلطة فى الغرب لصالح الصليبية فى العالم ، وبمساعدة الحكومات الغربية ، ومنها بالطبع حكومة الولايات المتحدة .

وللأسف الشديد ، فإن الكنيسة المصرية الأرثوذكسية ، التى تعد أقرب الكنائس إلى المسيحية فى حالتها الأصلية ، وظلت على مدى قرون من الزمان مستقلة عن الكنيسة الرومانية وغيرها ، وقعت فى فخ هذا الاتحاد الذى يحمل صبغة صليبية استعمارية ، لا تمت للمسيحية الغرّاء بصلة ، ولا تعبّر عن قيمها الإنسانية التى تقوم على المحبة والتسامح .. ولعل لانضمام الكنيسة المصرية إلى هذا الاتحاد ، صلة بما يجرى الآن ومنذ عدة عقود على أرض الكنانة مما لاعهد لها به فى العلاقة بين المسلمين والنصارى !

وقد رأى العالم مؤخرا موجات التعصب المسيحى التى طفت على سطح الحياة الغربية بصفة عامة ، وأمريكا بصفة خاصة ، وسمع الناس عن الوحى الذى يتنزل على « جورج بوش » ليقتل المسلمين فى أفغانستان والعراق والصومال وفلسطين

باسم محاربة محور الشّر .. فأين هى العلمانية من السلطة فى الغرب ؟

إن العلمانية هناك لم يعد لها وجود مؤثر وفعّال ، بقدر ما صارت منهجا لخدّامهم فى العالم الإسلامى ، لاستئصال والقضاء على ثقافته ، وإلغائه من الوجود ، سواء فى مناهج التعليم أو أجهزة الإعلام أو وسائط الثقافة أو عناصر السياسة والاقتصاد والتشريع الاجتماعى .

إن النخب الثقافية فى العالم الإسلامى ، ومعها أجهزة الأمن والقوات المسلحة فى معظم بلاده ، تخوض حربا شرسة ضروسا ضد الإسلام ، لحساب الغرب الصليبى الاستعمارى المتوحش وثقافته الدموية الإجرامية التى تقوم على النهب والتسلط والعنصرية .. وللأسف فقد صارت العلمانية هى الراية التى يجتمع تحتها كل عدوّ للإسلام والمسلمين ، وكاره للإنسانية والسلام .

❖❖❖

المقاومة الشعبية لاستئصال الإسلام!

تربع السادة مثقفو الخطيرة من اليسار المتأمرك ، فى أحد البرامج بقناة فضائية يملكها رجل قروض ، وراحوا يُقدمون وصلة هجاء مقذع للتدين الشعبى بوصفه رمزاً للإسلام وعلامة عليه . ومع أنهم – استخدموا مصطلح « ثقافة الميكروباص » وكنت أول من صك هذا المصطلح ، تعبيراً عن ارتماء مثقفى الخطيرة على بيادة النظام البوليسى الفاشى وتلميعها بهجاء الإسلام والتشهير به من خلال بعض القضايا الهامشية ، والانتقاء المتعمد لبعض الرموز الشاذة فى الفكر والسلوك ، وإشباعها نقداً وتجريحاً بوصفها رمزاً للإسلام والمسلمين .

السادة اليساريون المتأمركون أقاموا الدنيا ولم يُقعدوها ، لأن سائق الميكروباص قام بتشغيل شريط لواعظ يتحدث عن القطران المغلى والثعبان الأقرع كما زعموا ، وركزوا على الانفصام بين الفعل والقول ، أو السلوك والمعتقد لدى سائق الميكروباص وغيره .. ثم واصلوا وصلة الهجاء المقذع لكل من ينتسب إلى الإسلام بصلة ، حتى لو كان يسمع شريط قرآن بصوت قارئ خليجى يبكى فى أثناء القراءة . ولك أن تتصور ماركسياً سابقاً ، أو شيوعياً تأمرك يفتى بأن البكاء فى أثناء قراءة القرآن ، يجعل المستمع لا يحسن تأمل الآيات ، بل لا يتمعّنها ولا يُدرك أسرارها ، وكأن السادة الشيوعيين السابقين ، صاروا أئمة فى الوعى بالقرآن ، والعمل بما جاء فيه ويؤدون أركان الإسلام الخمسة ، ويقومون الليل ، ولم يشاركوا النظام البوليسى الفاشى ، فى حملته الاستئصالية لكل ماهو إسلامى ، تارة تحت مسمى « التنوير » أو

« الاستنارة » وأخرى تحت مقاومة الظلام والظلامية ، أى الإسلام والإسلامية .

تمنيت من هؤلاء السادة المتأمركين ، الذين يشمئزون من الإسلام ، ويُكفّرون المؤمنين به فضلاً عن علمائه باسم « التأسلم والمتأسلمين » ، أن يبحثوا فى الظاهرة التى تشغلهم ، وتجعلها موضوعاً لمصطبتهم التليفزيونية فى قناة رجل القروض الذى تزوج مع غيره من رجال القروض السلطة ، وهو الزواج الذى أشاروا إليه باسم زواج « السلطة والثروة » .. والغريب الذى ليس غريباً أنهم حملوا على الإخوان المسلمين مثلاً ، لأنهم يُيسّرون علاج الفقراء ، ويُعلمون أبناءهم فى المساجد مجاناً حيث لا يقدرون على تعاطى الدروس الخصوصية لدى حيتانها ، الذين فرّختهم وزارة التعليم بقياداتها « الطليعية » على مدى ربع قرن من الزمان . ووصفوا ما يقوم به الإخوان فى هذا السياق بأنه عمل سياسى .. وهل منع أحد حزب السلطة أو حتى حزب الشيخ الصباحى العمل السياسى بالتيسير على الناس فى أمور العلاج والتعليم وغيرها ؟

كان بين الحاضرين أستاذ فى علم الاجتماع ، يفترض أن يكون على قدر من الموضوعية أكثر من رفاقه الذين ركزوا على وصلة الهجاء للإسلام ، صحيح أنه حذر من مستقبل مظلم متفجر ، ولكنه لم يقل لنا أبداً لماذا يلجأ سائق الميكروباص إلى شريط القطران المغلى والثعبان الأقرع ، ولم يقل لنا لماذا تكثر النساء المنتقبات ، ولم يقل لنا لماذا يصرّ الناس فى بلادى على الاهتمام بالسنن والفضائل والمستحبات أكثر من الفرائض والواجبات والالتزامات فى التشريع الإسلامى ، ولماذا يهتمون باللحى الكثيفة وتقصير الثوب ولبس الساعة فى اليد اليمنى بدلاً من اليسرى .. لم يتطرقوا أبداً إلى سبب ذلك . إن رصد الظاهرة أمر مطلوب ، ولكن تفسيرها على أساس علمى لابد أن يعتمده أى باحث منصف يحترم الناس كلامه ويأخذونه مأخذ الجد ، فيناقشونه علمياً ، ويدرسونه موضوعياً .

اكتفى السادة اليساريون المتأمركون بأن ذلك نتيجة هبوب رياح الخليج ، جاءت مع الذين سافروا للعمل هناك ، فتشبّعوا بما رأوه هناك وسمعوه ، وراحوا يطبقونه فى مصر التى ماعرفت التشدد أو المغالاة .. وإذا كانت البيئة تؤثر على أهلها بطريقة ما ، فإنها لا تغير الوافدين إليها تغييراً جذرياً ، بل لا تؤثر فيهم اللهم إلا إذا كانت هناك عوامل أخرى ، قوية ومؤثرة ، تجعل استجابتهم للتغيير واردة ومقبولة ، وهذا مالا يُريد أن يفهمه أهل الاجتماع من الماركسيين السابقين أو المتأمركين الحاليين الذين يخدمون النظام البوليسى الفاشى !

قبل عام ١٩٦١م الذى صدر فيه قانون تطوير الأزهر رقم ١٠٣ ، كان فى مصر كلها فصل واحد فى معهد واحد من معاهد الأزهر الشريف (الابتدائية والثانوية) يدرس الفقه الحنبلى الذى يشيع فى معظم بلاد الخليج الآن . وكانت الأغلبية الساحقة من طلاب الأزهر تدرس المذاهب الثلاثة الأخرى : المالكية والحنفية والشافعية . وكان الطالب يتدرب على أن هناك آراء مخالفة له فى المذهب . بل إن المذهب الواحد فيه آراء متعددة ، بعضها راجح والآخر مرجوح ، وكان يدرس رأى أصحاب المذهب المخالف مسبوقا بلفظة السادة الأحناف قالوا كذا ، والسادة المالكية ، أو السادة الشافعية ، أو السادة الحنابلة لهم رأى يقوم على كذا وكذا .. وهو ما كان يجعل المناخ العام يتقبل كل رأى ولو خالفه ، ويُتيح مناقشته بطريقة علمية هادئة قائمة على الاحترام ، يستفيد منها صاحب الرأى ومخالفه جميعاً ..

بعد القانون المذكور ، انهار الأزهر ، وأوشك الآن على الضياع ، لأن التطور حمّل الطالب الأزهري فوق طاقته فهجر الطلاب الأزهر المعمور ، مما اضطر بعض قياداته إلى قبول طلاب التعليم العام ، ضعاف المستوى ، فضلاً عن كونهم لا يحفظون القرآن ، ثم دخلت تعديلات عديدة على المناهج أدت إلى تقليص المواد الإسلامية والعربية ، وانتهت مؤخراً إلى إلغاء فقه المذاهب فى المرحلة الإعدادية ، ونتج عن ذلك خريجون لا يفقهون دينهم فى الأغلب ، وخطباء لا يعرفون معنى

الإسلام ، ولا تستقيم ألسنتهم لُغويا ، ويُشرّقون ويُغرّبون بقصص لا تغنى ولا تُسمن .. بل إن بعض من صاروا أساتذة فى الأزهر اليوم نتيجة القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بحكم ثقافتهم الضحلة وبعدهم عن الواقع ، وحرصهم على جمع المال ، صاروا لا يعرفون معنى فقه الأولويات ولا مخاطبة الناس بمنطق يخدم الإسلام والمجتمع ..

أضف إلى ذلك كله ، ماتقوم به السلطة البوليسية الفاشية ، من مطاردة للتدين الحقيقى الذى يرفض الظلم والتزوير والاستبداد والقمع ، وإلغاء مادة التربية الدينية علمياً فى مدارس التعليم العام ، وإطلاق سلالة هنرى كورييل ومثقفى الحظيرة واليسار المتأمركين فى الصحافة والتلفزة والإذاعة لربط الإسلام بالإرهاب والتخلف والظلام .. واقرأ إن شئت على سبيل المثال ما كتبه أحدهم فى مجلة شهرية ، حيث كتب يقول : « لقد ظلت قوى الظلام (يقصد الإسلام) المعادية للإبداع والعلم ، تتربص بكل المكاسب التى حققتها قوى الإصلاح (أى الموالية للغرب) وهالها أن تنتصر القيم النبيلة ، وتسود تلك القيم التى لا يجدون فيها تربة صالحة لزرع أفكارهم الماضوية (يقصد الإسلامية) الداعية للخرافة والدجل وتغييب العقل ومعاداة الحرّيات .. واستطاعت فى غفلة تيار التنوير – استدعاء الماضى (يقصد الإسلام) بأفكار وفتاوى أسست لفكر أحادى يُقدس النصّ (يقصد القرآن الكريم) ، ويُكرّس الجهل والتبعية ، ويُحقّر من إرادة الإنسان ، ويُفرّق بين الناس ، ويُعادى الثقافة والعلماء والفن والحرية والإبداع والمرأة ، ويرفض الاختلاف ، ويدعى وحده امتلاك الحقيقة .... إلخ !

ما رأيك فيما يقوله هذا الكذّاب الأشر ، الذى تناسى أن السلطة التى يلمّع بيادتها ، تحارب الإسلام ، وتقدم « العوالم » على العلماء ، و« الغوازى » على الغزاة ، وتحرّم على المتدين الحقيقى أن يتولى أى منصب أو وظيفة لها قيمة ، وتضع بدلاً منه

أمثال هذا الكاتب الشيوعى السابق ، المتأمرك الحالى ؟

إن التدين الشعبى بكل مافيه من خلل كان هو الردّ الطبيعى على الاستئصال الذى تمارسه السلطة البوليسية الفاشية ضد التدين الحقيقى ، وكان المقاومة الشعبية لنظام استسلم لأعداء الإسلام ، وإذا كان الشعب المصرى يرد على الاستبداد بالنكت والسخرية من المستبدين ، فإنه يُدافع عن إسلامه بالتدين الشعبى ، وفقا لنظرية الأوانى المستطرقة ، حيث إن الفراغ لابد أن يُملأ ، ويوم يعْدل النظام البوليسى الفاشى عن محاصرة الإسلام ، فسيعتدل الميزان ، ويعود التدين الحقيقى إلى مجراه الطبيعى .. الحرية هى الطريق إلى الإسلام الصحيح ، والإسلام الصحيح هو الطريق إلى الإصلاح والتغيير الذى يعزّ الأمة والوطن والمجتمع ، ولا غالب إلا الله .

❖❖❖

الخلافة الأوروبية..
النار والبارود !!

لا أدري ما الذي يزعج خدَّام الاستعمار الصليبي الصهيوني من الحديث عن الخلافة الإسلامية، في حين لا يمسُّون بسوءٍ نظامَ الخلافة الأوروبية الذي يباركه الفاتيكان، ويبدي رأيه فيمَن يدخل ومَن لا يدخل (تأمل موقفه من تركيا والبوسنة مثلاً!!).

الخلافة الإسلامية في أوجها صنعت حضارةً إنسانيةً راقيةً كانت أساسًا للمدنية الراهنة، وشهد بذلك المنصفون من المستشرقين وكتَّاب الغرب الشرفاء، ولكنَّ خدام الاستبداد والغرب الصليبي الصهيوني يصرُّون على أن الخلافة الإسلامية كانت رمزًا للحكم الثيوقراطي والاستبداد السياسي والقهر والقتل والقمع.

ومع أن الأحكام العامة آفةُ الموضوعية ومرضُ الفكر المنهجي العلمي فإن القوم- من خلال إرهاب الإسلام أو فوبيا الإسلام- يصرون على تشويه، بل تلويث كل ما يمتُّ للإسلام بصلة، لا تجد أمرًا ذا صلة بالإسلام إلا وهو ملعونٌ في أدبياتهم وكتاباتهم وكلماتهم.

وقد قبلوا أن يكونوا خَدَمًا في بلاط الدول البوليسية الفاشية التي تحكم العالم العربي والإسلامي، ويقودوا عملية التشهير بالإسلام، وإلصاق سلبيات الحكم الكنسي في العصور الوسطى به، ولم يجدوا غضاضةً أو وخزًا في ضمائرهم، وهم يرمزون إلى الإسلام بالإظلام أو الظلام، ويسمون الفكر الإسلامي بالفكر الظلامي، وقد تحدَّث بعض المسئولين مؤخرًا عن ضرورة مكافحة الفكر الظلامي،

أي الإسلام ومعطياته.

لم ينظر القوم إلى ما سبق الوحدة الأوروبية المعاصرة أو الخلافة الأوروبية الراهنة من صراعات دموية راح ضحيتها ملايين الأوروبيين في الحربَين العالميتَيْن وحدهما، ناهيك عن القتال الشَّرِس الذي دار بين القبائل الجرمانية والوندال والساكسون وغيرها؛ مما أفقد الأوروبيين أعدادًا مهولةً من البشر؛ بسبب الهمجية التي حكمت تصرفاتهم وسلوكهم المتوحِّش الذي لا يعرف الرحمة ولا الإنسانية، ولماذا نذهب بعيدًا وقد صنعوا بالمسلمين في الأندلس بعد انتصارهم ما يندى له جبين الإنسانية؟! من خلال محاكم التفتيش في الضمائر، بل إن المسلمين الذين تنصَّروا (الموريسك) لم يتركوا منهم أحدًا إلا وقاموا بقتله أو استعباده، واقرأ إنْ شئت ما كتبه الراحل محمد عبد الله عنان، مستشهدًا بما كتبه الغربيون أنفسهم، وهو مخزٍ بكل المقاييس!!

ثم إنهم عندما أخذوا في استعمار العالم الإسلامي كانت وحشيتُهم تشهد بتفوُّق الحيوانات المتوحشة عليهم في الإنسانية، لقد قتلوا في يوم واحد على سبيل المثال أكثرَ من ٤٥ ألف جزائري مسلم خرجوا للتظاهر السلمي من أجل الاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية، مثلما استقلَّت فرنسا عن ألمانيا النازية التي أذاقتها الويلات والموت، ولكن الطبيعة الاستعمارية المجرمة واحدة لا تتغيَّر أبدًا، بل انظر ما يجري في العراق وأفغانستان وفلسطين ولبنان الآن، وما يحدث في غيرها بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

والمفارقة أن بعض كتَّاب السلطة- وفي مقدمتهم طه حسين عميد الأدب العربي- لم يكتب حرفًا واحدًا عن دموية الاستعمار الفرنسي في الجزائر أو بلاد الشام، ولم يستنكر مذابح فرنسا التي استنكرها بعض الفرنسيين أنفسهم؛ ولذا نال وسام فرنسا بدرجة «فارس»، وهو ما يفعله الآن كتَّاب السلطة في بلادنا البائسة، وخاصةً من تلامذة هنري كورييل، حين ينحازون إلى الغُزاة ضد دينهم وأوطانهم

وثقافتهم، ويدعمون النزعات الانفصالية في الدول العربية والإسلامية، فينالون بعض الجوائز، أو بعض الشهرة في أجهزة الدعاية لدى الحكومات القمعية في بلادنا التعيسة.

لم يتخلَّف خلفاء طه حسين إذًا عن فعل الشيء ذاته، وراحوا يركِّزون اهتمامهم في تصيُّد أخطاء بشرية لطغاة وجبابرة، مثل الذين يخدمونهم، وبرهنوا من خلالها على إخفاق الخلافة الإسلامية ودمويتها، بل إنهم وضعوا حركات العنف المضاد المحدودة الذي قامت به بعض الجماعات

❖❖❖

الغوريلا.. تهجو الإسلام!!

لا أدري لماذا قفزت إلى ذهني صورة الغوريلا ، ذلك الحيوان الوحشي المخيف ، وأنا أطالع بعض الكتابات التي تهجو الإسلام وتحرّض عليه ، ولم تعد تجد في ذلك غضاضة أو خجلا ، مع أنها تطعن في دين الأغلبية الساحقة من أبناء هذا الوطن التعيس .. ويأتي الهجاء والطعن على صفحات دوريات يملكها هذا الشعب ، ويمول خسائرها دافع الضرائب المصري المسكين ، وهو الذي لا يفرط في دينه ولا يرضى بالطعن فيه.. بالطبع نحن لا نلوم الغوريلا التي تهجو الإسلام بكل وقاحة وتتحدى المجتمع الإسلامي وقوانينه ، فضلا عن دستوره ؛ لأنها تستشعر أولا أن هناك نوعا من الحماية الخارجية التي يسبغها العدو الصليبي الاستعماري ممثلا في الولايات الأميركية المتحدة ، والمؤسسات المعادية للإسلام في الغرب بصفة عامة ، ثم هناك ثانيا الرضا الكامل من النظام البوليسي الفاشي الحاكم الذي يعتقد أن الإسلام هو عدوه الأول ، والخطر الأكبر على وجوده الفاشي ، حيث يمثل الإسلام عنصر المقاومة الوحيد الحي الباقي في الساحة ، لمجابهة الاستبداد والخنوع ، فضلا عن الفساد والإفساد اللذين صارا علامة مميزة للمرحلة الراهنة !

بشاعة الغوريلا لا تقتصر على شكلها الشيطاني الذي يوحي بالرعب والقبح – مع أنها قد تكون حيوانا طيبا لا يعقر أحدا عندما تمتلئ بطنه بالطعام – ولكن من يمثلونه من كتاب البلاط أو كتاب الحرملك ، أو الباحثين عن الرزق الحرام يعطونك هذا الانطباع بالتوحش والبشاعة ، وأنت تطالع وقاحتهم ضد الإسلام

وقيمه وتشريعاته انطلاقا من مقولات كاذبة ، وتدليس متعمد ، وافتراء واضح.

حين تقرأ مثلا من ينفى أن يكون هناك فراغ ديني في مصر ، ويعتقد أننا نعاني من تخمة دينية انطلاقا من كون ما يسميه باللغة الدينية هي السائدة بشراسة في المجتمع وفي الصحف والمجلات وفي المترو في الميكروباصات ، في الأتوبيسات ، في التوك توك ، في الإعلانات ، في المؤسسات حين يأتي وقت الصلاة ، في المسلسلات ، في مناهج التعليم ، في مجلات الموضة ، في المسرحيات ، في الأفلام ، في ألعاب السيرك وألعاب الأطفال ، في المطبوعات الكثيرة ، في الجرائد والكتب الدينية التي تصدر يوميا وشهريا ، في نساء مصر اللاتي يرتدين الحجاب والنقاب ويذهبن إلى الدروس الدينية ، وحمامات السباحة (!!) حيث يجلسن ويقرأن القرآن بصوت مسموع ، وإذا نزلن إلى الماء يرتدين ما يوهات شرعية تخفى كل الجسم باللون الأسود ، والتخمة موجودة في مجمع البحوث الإسلامية الذي يصادر الروايات والمسرحيات والقصائد الإبداعية ، والتخمة موجودة في كل من هب أو دب يذهب إلى النائب العام يرفع قضية تكفير (!!)ضد المبدعين والمبدعات ، ويطالب بإسقاط الجنسية المصرية عنهم ، ومنع كتبهم من السوق ، وحظر سفرهم ، والتخمة الدينية موجودة في التيارات الدينية الإسلامية التي تمهد لإقامة الخلافة الإسلامية ، والتخمة الدينية موجودة في التاكسيات وشرائطها التي تشتم النساء ، وتطالب بحجز المقابر للآخرة ، التخمة الدينية موجودة في مشايخ الفضائيات المتأنقين الذين يقدمون الفتاوى للفتيات المحجبات الصامتات ، والأولاد المتأسلمين الذين يتكلمون بشكل يسبب الاكتئاب واليأس من ترسيخ التيار المدني في المجتمع ، والغثيان من اختراق سلطة القهر بالدين !!التخمة في الإنفاق على بناء المساجد وإعداد الدعاة الدينيين والتمويل الخرافي للمطبوعات الدينية من جهات معروفة وغير معروفة .. لقد أغلقت اللغة الدينية – حسب الغوريلا – والمرجعية الدينية ، والمناخ الديني ، كل منافذ الهواء مما يؤكد أننا لسنا في فراغ ديني !

وتقول الغوريلا إننا نضع النقاب ليس على الرءوس فحسب بل على العقول ، والنقاب حالة أفراد فقدوا الزمن ، فهاجروا خارجه ، هربا من مجتمع ذكوري سيئ النظرات بذيء العبارات .

ثم ترى الغوريلا أن أساتذة التكفير يحتلون أرفع المناصب ، ويمثلون محاكم التفتيش ، ويتربصون بأصحاب الفكر والمبدأ والبحث في نوايا الكتاب والأدباء ويصادرون كتبهم وإبداعهم ..

وتقول الغوريلا إن المتطرفين الإسلاميين يدعون أنهم جند السماء فيرفضون القيم الأميركية المتحضرة ، ويفرضون قيم التخلف والبداوة والصحراء على الآخرين .... الخ

والذي يتأمل هذه المقولات التي تلح عليها الغوريلا في صحف لاظوغلي وصحف اليسار المتأمرك ، وكتابات مثقفي الحظيرة ، وكتبة البلاط ، وأغوات الحرملك .. يجد أنها تسير في سياق واحد ، لا يتغير وهو هجاء الإسلام ، والزراية به ، والرغبة الشيطانية في استئصاله من الوجود لحساب السادة المستعمرين والسادة المستبدين !

إننا بإزاء خلط عجيب ، وكذب مفضوح ، وتدليس بشع ، تؤكده أحوال الإسلام والمسلمين داخل مصر وخارجها ..إننا أمام هجاء رخيص لا يستحق عناء الرد والتفنيد لأنه يكشف عن نفسه ببساطة شديدة ، ويقول إنه ادعاء لا أساس له من الصحة ؛ لأن التخمة الدينية لو كانت موجودة بالفعل لتغيرت الأحوال ، وما كنا بهذا التردي الذي وصلنا إليه في ظل النظام البوليسي الذي لا يعرف التسامح أبدا مع الإسلام الفاعل والباني والمنتج ، أما والأمر غير ذلك فإن مقولات الغوريلا باطلة وغير صحيحة ..

والنقاش العلمي لهذا التخليط العجيب قد يطول ويمله القارئ، ومع ذلك فسوف نكتفي بالإشارة إلى نقطة بسيطة لكشف تهافت منطق الغوريلا وعدم

عقلانيته ، واستناده إلى الديماغوغية التي تقوم على المغالطة والمغالبة ليس أكثر ..

لو كان لدينا تخمة دينية كما تزعم الغوريلا ، ما عانينا من انهيار اقتصادي ، ولا نقص في الإنتاج ، ولا تخلف في شتى الميادين حتى كرة القدم ، تتفوق علينا فيها موزمبيق ، كما تتفوق علينا في مجال التعليم الجامعي ! وذلك لسبب بسيط جدا ، وهو أن الإسلام دين علم وعمل ، وإتقان وإجادة ، وقد آثرت الحكومات المتتابعة منذ ستين عاما ؛عسكرية أو بوليسية ، أن تنفذ الإرادة الاستعمارية الصليبية بمطاردة الإسلام ، وتخليق نخب خائنة وموالية له تهجو الإسلام بمناسبة وغير مناسبة ، وتشكك في تشريعاته وتزري بأتباعه ، بل تقصيهم وتستأصلهم ، وتلقيهم في السجون ، وتعلقهم على أعواد المشانق ، وتحرمهم من مخاطبة الناس ، وممارسة نشاطهم السياسي والاجتماعي مثل بقية خلق الله ، وقد رأينا ما فعله ديكتاتور تركيا يوم أسقط الخلافة وعلق علماء الدين على المشانق في الميادين العامة، وارتمى بكل قواه في أحضان الصليبيين الاستعماريين ، ونسى أن شعبه ، ومثله بقية الشعوب الإسلامية لا يمكن أن تفرط في دينها ، وهاهم الأتراك بعد ثمانين عاما يقولون للصليبيين وخدامهم من أمثال الغوريلا : لا .

وقد رأينا قبل شهور قليلة كيف قام النظام البوليسي الفاشي الذي تسميه الغوريلا دولة مدنية – أي علمانية – أي ضد الدين الإسلامي وحده، تلقى بالعشرات من الإسلاميين في المعتقلات والسجون ، وتحولهم إلى محاكمات عسكرية ، وتصادر أموالهم وتغلق مكتباتهم ، وصحفهم ودور النشر التابعة لهم ، دون أن تنطق الغوريلا من أي فصيل باستنكار ما حدث ، أو تقول إنه مخالف للمواثيق الدولية وحقوق الإنسان ، والدستور والقانون ، فضلا عن الشرائع السماوية .. وهو ما يدحض كل ما زعمته الغوريلا عن تخمة دينية لا وجود لها على أرض الواقع ، حيث يتم حصار الإسلام في كل المجالات في الصحافة والثقافة والإعلام والتعليم ، وحرمان من تشم فيه رائحة التدين من الوظائف المؤثرة فلا يدخل صحيفة قومية ،

ولا جامعة ولا التليفزيون الرسمي ولا القضاء ، ولا كليات الشرطة أو الكليات العسكرية ، ولا حتى النوادي الرياضية المعروفة ..إن التعليم على سبيل المثال يجعل مادة التربية الدينية مادة نجاح ورسوب فحسب ،وحصة التربية الدينية مستباحة من بقية المدرسين الذين يجدون فيها فرصة لإعطاء دروسهم الخصوصية في المواد التي يدرسونها ، ولذلك يكون كتاب التربية الدينية هو الكتاب الوحيد الذي لا يفتحه الطالب إلا في ليلة الامتحان ؛ لأنه واثق أنه سينجح في هذا المادة بقوة السلطة ، سواء أجاب في الامتحان أو لم يُجب ، وبعد أداء الامتحان يلقيه الطالب في أقرب سلة مهملات ! فأين هي التخمة الدينية أيتها الغوريلا المتوحشة ؟

لو أن الغوريلا تأملت بعض المظاهر الدينية ، وخاصة في إطار الطبقة العامة ، لعرفت أن هذا في معظمه ينتسب إلى ما يعرف بالتدين الشعبي الذي يعبر عن مقاومته للسلطة المعادية لدينه وعقيدته بطريقته الخاصة ، حيث لا يملك النظام الفاشي للمحجبة شيئا ، ولا يقدر على هدم المسجد ، ولا يستطيع أن يمنع امرأة من النزول في الماء بكامل ملابسها السوداء أو البيضاء ..صحيح أنه يمنع علماء الدين الحقيقيين من صعود المنابر ، ويفضل عليهم الجهلة وعملاء ه، ولكن المصريين البسطاء يصنعون علماءهم وأشرطتهم ونماذجهم حتى لو ركزت على الهوامش والفضائل دون الفرائض والواجبات .. ويبقى لهم في كل الأحوال شرف المقاومة ، أما الذين يلمّعون بيادة النظام ، ويمنحهم صحفه وإعلامه لمهاجمة الإسلام وهجائه ، وتحتضنهم قوى الشر الصليبية الاستعمارية بالمال والدعاية والشهرة والمؤتمرات والندوات في عواصم الغرب ؛ فهم في الخانة التي يعرفون اسمها ، ولا أريد أن أسميها ، وفي يوم ما ستنتصر إرادة الشعب على إرادة النخب العميلة ، وفي تركيا مثال ساطع لهذا الانتصار الذي لا بد أن تعرفه الأمة في يوم ما بإذنه تعالى .

❖❖❖